فى ظلال الهجرة

غزوة بدر

للأستاذ ابراهيم مأمون

ذِكرى ، كما شاء الزمانُ أجالَها   وخطى نكرت العالمين حيالَها
ما الرسَلاتُ وما العواصفُ؟ ويحُها   هل جزْن بيداً؟ أو طوينَ تلالَها؟
وإلامَ يحتثُّ الهجانَ حُداتُها   فى مهمهٍ سبقتْ عليه ظلالَها؟
قل للطوائر فى الجواء حوائماً :   ربُّ السماء لغيركنّ أحالَها
للريح . تنتظم الغمام ظعائناً   وتمدّ من لُمَعِ الشعاع كلالَها
حرم السماء مجالُها ، وكأنها   سفنٌ تخذْنَ من القباب مجالَها
يمشين فى حرس السماء ، تُديرها   أيدى الهواء . وما وعَيْنَ عقالَها

⊙ ⊙ ⊙

هى آذنتْ «بدراً» بنصر «محمد»   وعلى يديه استنزلَتْ آمالَها
جاءت «بجبريل السماء وحيها» ،   وحدَتْ بآمال العلا «ميكالَها»
تلك السماء تشقّقتْ بغمامها   تولى الرسالة فى «العريش» صيالَها
أزجتْ إلى جيش الحنيف ملائكاً   لمس القليبُ طِعانَها ونزالَها!
مثلَ الحمام برفّها وبخفْضِها ،   وجرى الهوانُ يمينَها وشمالَها!
سائلْ جلودَ الشركِ عن تبريحها   والشركُ يبكيها ، ويندبُ آلَها
واستوحِ أشلاء القليب . فإنها   تبيانُ «بدرٍ» إن أردْتَ مقالَها
يا يومَ بدرٍ : والمواقفُ جمّةٌ   فيكَ الحنيفةُ زايلَتْ أسمالَها
لبستْ دروعكَ سابغاتٍ فى الوغى   ومضتْ بساحِك تستثير رجالَها
تلقى «محمداً النبيَّ» يقودُها   ويُعزّ رايتَها ، ويُنهضُ قالَها
ويذودُ عنها العادياتِ بحلمه   حيناً ، وحيناً يستجيبُ قتالَها
ما اللاتُ؟ ما العزّى؟ وأين مناتُهم؟   غالَ الحنيفُ عبادَها ، وأزالَها
والشركُ نكّسه الجهادُ . فلم يقمْ   أرأيتَ «هنداً» مثّلتْ أمثالَها؟
تدعو النساءَ إلى العويلِ ، وتنتضى   سيفَ المهانةِ لم يفتْ أبطالَها
تُغرى الوغى بملاحمٍ دمويّةٍ   شمواءَ تنهض بالرماح سِجالَها
بعثتْ من البيض الخفاف رسالةً   حلقتْ لها يافوخَها وقذالَها
وجفتْ غدائرَها وألقتْ قُرطَها   وتناهبت حسراتُها خلخالَها
تحدو الرجالَ إلى المواقعِ تارةً   وتسير أخرى تستفزُّ خيالَها
كوَساوسِ الشيطان أغرتْ مؤمناً   فجفا مودّتَها ، وعافَ وصالَها!
ما غاظها جيشُ السماء . وإنما   جيشُ «المهاجر» يوم بدرٍ غالَها!
بَرَز الحنيفُ على الحياض إلى الردى   يرمى الجهالةَ أو يدُعُّ مِطالَها!
وكأنّ أرضَ الله تقذفُ ما بها   وسماءَه تولى النبيَّ نضالَها!
والكفر فى بؤر الخنا متطلّعٌ   للعدوة الدنيا يرى رئبالَها!
ويحسّ فى كفيه أنفاسَ الوغى   تُبدى من الصمتِ الرزين ملالَها
ألوى بجيش الشرك مرهوبَ القنا   ونضا قراه ، وما نضتْ سربالَها

⊙ ⊙ ⊙

يا باسطَ الكفين فى كنف العلا   تدعو السماءَ . وما تركتَ سؤالَها
النصرُ وافى ، واصطفتْكَ مغانمٌ   والله قسّمَ بينكم أنفالَها
فلذاتُ مكة فى ربابك سوائلٌ   ترجو ندَاكَ وما رجوتَ نوالَها!
كانت تريكَ ببطن مكة بغيَها   أفلا أرتكَ لدى الوغى استبسالَها؟
خيرَ البرية : تلك عقبى صابرٍ   لاحتْه مكة : ظاهرت جُهّالَها
جنباتُ مُلْكِ الله فزّع دُعمها   دعواتك اللائى نَرَت إلا لَها
والعرشُ حومٌ فى رحاب المنتهى   يُصغى لسدرتها وأنت حيالَها
ويعدّ أجنحةَ الجلال لمنكبٍ   بادى اللآلى يجتلى لألَها
جافته بُردتك الشريفة مذ رأت   مَلأَ العلا يُضفى عليه مثالَها
لو يعلم «الصدّيقُ» عند وقوعها   ما تردّيه لهاله ما هالَها!
وسباه من وادى السّنا لحاتهُ   ومضى إليها يبتغى إمهالَها!
ليرى تحيتها لوجهك ضاحياً   ويراكَ توليك العلا إجلالَها!
ويراك والسبعُ الطباقُ خواشعٌ   ويراك والدنيا تراك عيالَها!
نورُ الجلالة تحت ثوبك مشرقٌ   يَهدى السماءَ نجومَها وهلالَها ،
من غير هدْيك ما تبسّم طالعٌ   فى أمةٍ أغرى الهوى إهمالَها!

⊙ ⊙ ⊙

تلك الخلائق يا محمدُ : أعرضتْ   ورأت حرامَ الراشدين حلالَها!
رجعتْ بها الأهواءُ عن غاياتها   وتنقّصتْ فى العاجزين كمالَها
فُتنتْ بزائفة النهوض ، ولو رأتْ   مجدَ الأوائل أكبرتْ أطلالَها
كفرتْ على مهدِ الندى آباءَها   وجفتْ على قرب المدى أخوالَها
جادتْ على وادى السماحِ بروحها   للناهبين ، وما رعتْ إقلالَها
جعلتْ لخاذلِ دينها تسليمَها   ولناصريه المتقين جدالَها
ولو انها التمستْ هداك لصافحتْ   غدواتك البيض الخطا آصالَها